رد الأستاذة حميدة قطب على تعقيب محمد الفيفي:

كان لابد أن يتحقق الهدف وتتم العقدة

قبل الدخول في هذا الإيضاح فإني أحب أن أشكر للأخ القارىء محمد الفيفي اهتمامه بقصة: «واحة السلام» التي نشرت في العدد «٢٩» من مجلة الأدب الإسلامي الغراء، وأشكر له ملاحظاته التي تقبلتها بكل ترحيب وبكل اهتمام، فالقارىء عندي - ناقدا أو غير ناقد - هو مرآة أرى فيها وجه عملي الفني، فأصلح ما اعوج منه قدر المستطاع - وأحاول أن أستكثر مما بدا في المرآة ناصعا وطيبا.

وبعد هذه المقدمة الضرورية أحب أن أدخل في مناقشة الملاحظات الثلاث أو الأربع التي وردت في التعقيب، والتي يمكن أن تجمل في ملاحظة واحدة مفادها أن القصة كلها قد حُكيت واكتملت عقدتها في جمل قليلة استغرقت بضعة أسطر في صفحة «٥٤» ثم سطرين أو ثلاثة في الصفحة التي تليها، وذلك مع أن القصة قد استنفدت من صفحات المجلة ثماني صفحات، وهذا - في نظر الأخ القارىء - عبث لا طائل وراءه!

وردي على هذه الملاحظة أستقيه من تعليق الأخ الكريم ذاته، ومن كلماته له في هذا التعقيب تشرح كيف أنه ظل مشدودا إلى فقرات القصة من أولها إلى آخرها، يتابع خطو بطلها الشاب الصغير بفكره وقلبه وأنفاسه، ويعيش معه «في منزله وفي الفراغ الروحي الذي يغرق حياته».. وتتطلع نفسه إلى الأمل المشرق والداعية الصغير يعرض هذا الدين على أبيه».. ثم «يسعد حقا بإسلام الوالد».. كذلك «ينبهر بالمفاجأة الكبيرة والجميلة ويفرح فرحا بلا حدود عند إعلان الأم وإفصاحها عن اقتناعها بالدين الجديد»..

وأضع هنا خطا تحت كلمة المفاجأة فلها مغزاها الحاسم في القضية؟ فإذا كانت الكلمات الأولى أو الأسطر الأولى قد كشفت عن كل عقدة للقصة، فلماذا أو كيف حدثت تلك المفاجأة التي هزت مشاعر الأخ القارىء وبهذه الدرجة، مع العلم أن هذا الحدث قد كشف عنه في أواخر القصة؟!.. ثم يعود الأخ القارىء فيتمم وصف مشاعره فيقول: إنه استطاع أن يتنفس الصعداء ويستنشق الهواء ويأخذ نفسا عميقا يملأ الرئتين، ثم يزفر رويدا رويدا ويسترخي بعدها وجوانحه قد امتلأت سعادة وسرورا!.. فهل حدث ذلك كله عندما قرأ الأسطر الأولى في ص ٥٤ والقليل الذي بعدها، أم أنه تسرب إلى مشاعره مع مسيرة القصة وتفاصيلها حتى نهايتها؟

وإذا كانت مشاعره تلك قد اكتملت برمتها بعد قراءة الأسطر القليلة التي أشار إليها فلماذا واصل قراءة الصفحات السبع الأخرى وهي مجرد تكرار عابث لما قيل في الأسطر الأولى؟!

أقول للأخ الكريم: إن الإشارات القليلة التي جاءت مجملة غاية الإجمال في تلك الأسطر، إنما جاءت فقط للتشويق ولفتح باب للقارىء يدخل منه إلى مسيرة القصة ثم إلى نهايتها.

ثم أقول: إن العقدة في هذه القصة هي المسيرة ذاتها، وإن الهدف فيها الذي يعطي العقدة قيمتها هو إبراز أمر خطير يكاد أن يكون الآن مجهولا في حياة الإنسان، وذلك من خلال مسيرة حياة واقعية حية، ذلك هو حقيقة عمق استجابة الفطرة البشرية لمفاهيم دين الله وشريعته ونظامه، إذا تمثل ذلك في واقع معاش، يستوي في ذلك الطفل والشاب والرجل والمرأة، وتنجذب إليه الطبائع بأعماقها البعيدة مهما اختلفت في الاتساع والضيق، والمحبة والكراهية، والمسالمة والعناد، والرحابة والتعنت، فتؤوب الأولى سريعا إليه، وتؤوب إليه الأخرى مهما طال مدى التعنت والعناد، وذلك حين تتجلى عنها الغشاوة التي تصنعها وتكثفها المفاهيم القاصرة التي يضعها البشر لحياتهم وخاصة هذه التي أنتجها الغرب المادي المغرور.

كذلك فإن عنوان القصة ومسيرتها كلها يشيران إلى هذا الذي تلتقي فيه فطرة الإنسان، المخلوق بإرادة الله، مع النظام الذي شرعه الله، مصداقا لقوله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة».

فكما ترى يا أخي: إنه لم يكن من الممكن أن يتحقق هذا الهدف، ولا أن تتم العقدة إلا بهذه المسيرة الطويلة التي تعايش النفس وتستنبت الحق الكامن في الفطرة، ولا أن تأخذ بحس القارىء وانتباه مشاعره بتلك الأسطر القليلة التي أشرت أن القصة قد تمت وانكشفت بها عقدة - أو عقد - القصة كلها!.. وإنما كانت كلمات لا بد منها ليدخل منها القارىء إلى ساحة هذه الحياة المعروضة بطرفيها.

وفي النهاية أشكر للقارىء الكريم اهتمامه وكل مشاعره تجاه القصة.

حميدة قطب - مصر